

دلائل الإعجاز

فذكر الخمسَ التي هي عددُ أناملِ اليدِ فإنَّ من مجموعِ هذه الأمورِ غرضُهُ .
وأنشدوا لبعضِ العرب - الرجز - : .

(فَإِنْ ° تعافُوا العدلَ والإيمانَ ... فَإِنْ ° في أيِّمانِنَا نِيرَانَا) .
يريدُ أنَّ ° في أيماننا سيوفاً نضرَ بكُم بها . ولولا قولُهُ أوَّلاً : " فَإِنْ ° تعافوا
العدلَ والإيمانَ " وأنَّ ° في ذلك دلالةٌ على أن جوابَهُ أنهم يُحاربُونَ وَيُقَسِّرونَ
على الطاعةِ بالسيفِ ثم قولُهُ : فَإِنْ ° في أيماننا لمَّا عُقِّلَ مرادُهُ ولما جازَ أن °
يستعيرَ النيرانَ للسيوفِ لأنه كان لا يُعقِّلُ الذي يريدُ لأنَّ وإن كنَّا نقولُ : " في
أيديهم سيوفٌ تلمعُ كأنَّها شُعَلُ نارٍ " كما قال - الكامل - : .
(نَاهَضَتْهُمُ ° والبارِقاتُ كأنَّ نَسَّها ... شُعَلُ ° على أيديهم ° تَتَلَهَّبُ °) .
فإنَّ ° هذا التشبيهَ لا يبلغُ ما يُعرِّفُ مَعَ الإِطلاقِ كمعرفتنا إذا قال : " رأيتُ
أسداً " أنه يريدُ الشجاعةَ . وإذا قال : " لقيتُ شمساً وبدراً " أنه يريدُ الحُسْنَ
ولا يقوى تلك القوَّةُ فاعرفهُ .

ومما طريق المجازِ فيه الحكمُ قولُ الخنساء - البسيط - : .
(تَرَرْتُ ° ما رَتَعَتُ ° حَتَّى إذا ادَّكَرَتْ ° ... فَإِنَّما هيَ إِقْبَالُ ° وإِدْبَارُ °) .
وذاك أنها لم تُردِّدْ بالإِقبالِ والإِدْبَارِ غيرَ معناهُما فتكونَ قد تجوَّزَتْ ° في نفسِ
الكلمةِ . وإنما تجوَّزَتْ ° في أن جعلتها لكثرةِ ما تُقْبِلُ وتُدْبِرُ ولغلبةِ ذاك عليها
واتصالِهِ بها وأنه لم يكنْ لها حالٌ غيرُهُما كأنها قد تجسَّمتْ ° من الإِقبالِ والإِدْبَارِ
° وإنَّما كان يكونُ المجازُ في نفسِ الكلمةِ لو أنها كانت قد استعارتِ الإِقبالَ
والإِدْبَارَ لمعنى غيرِ معناهُما الذي وُضِعَا له في اللغةِ . ومعلومُ أنْ ليس الاستعارةُ مما
أرادتُهُ في شيء